بصفة عامة يتم (بصورة غير مباشرة احيانا ، ومتعارضة في بعض الاحيان ، وبرضى السلطنة العثمانية في احيان اخرى) من خلال سيطرة الامارات الاقطاعية القوية . وكثيرا ما كان يتداخل التشكل السياسي لهيمنة الاقطاع القوي ، القادر على بسط نفوذه وحمايته على الاقطاع الضعيف ، مع العلاقات الطائفية .

ولقد شكل الوضع الاستثنائي لمسألة الاقليات الطائفية والقومية تحت حكم السلطة العثمانية ، والتي كرسها واقع التفتت الاقطاعي وفرض هيمنة الاقطاع القوي على اساس من التداخل بين العلاقات الاقطاعية والطائفية ، شكل هذا الوضع أرضا خصبة لاستغلال التنافس الاستعماري الاجنبي له بهدف مد وتغلغل نفوذه ابتداء من انحسار سلطة محمد علي عن بلاد الشام ولبنان في أوائل الاربعينات من القرن التاسع عشر .

فمنذ ذلك الحين اخذت كل دولة من الدول الاجنبية الكبيرة القوية وتتذاك (فرنسا ، بريطانيا ، روسيا القيصرية الخ ..) تدعي انها تقوم بحماية الكتل الاجتماعية والطوائف المختلفة تحت ستار الرعاية والحماية . وذلك بغية فرض نفوذها وسيطرتها تمهيدا لاقتسام تركة الرجل المريض — تركيا — في المنطقة .

وقد كان للتدخل الاستعماري الاجنبي دوره الكبير في احداث ومذابح ١٨٦٠ وهو المستفيد الاساسي منها من أجل بسط نفوذه السياسي في لبنان والمنطقة .

ولم يكن التقسيم الاستعماري لسوريا العربية (بلاد الشام) الى دول وكيانات سياسية مختلفة (لبنان الكبير ، فلسطين ، الاردن) في أوائل هذا القرن يعتمد على الفراغ ، بل على التكوين التاريخي السياسي للتشكيلات الاقتصادية الاجتماعية باقطاعياتها المفتتة التي يطغى عليها العلاقات القبلية العشائرية والطائفية والعائلية . حيث ارتبط فيها الولاء السياسي بالقوى الخارجية القوية التي تستطيع أن تمارس نفوذها وتأثيرها على هذا الوضع .

ففي نطاق السيطرة الامبريالية المباشرة (من خلال الانتداب) تمكن الاستعمار الفرنسي من توطيد دعائم سيطرته في لبنان . واعتمد في فرض سيطرته على تعيين وترسيخ اقدام القشرة الاجتماعية العليا من الطائفة المارونية ، التي ادعى انه يقوم بحمايتها ، في قمة المراكز الاساسية الحساسة في الدولة اللبنانية الناشئة تحت وصاية الانتداب الفرنسي .

وكانت دعائم السيطرة الامبريالية قد وصلت مرحلة متقدمة ، قبل الانتداب . وذلك من خلال العلاقات التجارية (سيما تجارة تصدير الحرير الطبيعي الى فرنسا في القرن التاسع عشر) والثقافية وانتشار الارساليات ومؤسسات التعليم الاجنبية بين ابناء الطائفة المسيحية بشكل خاص . هذه العلاقات التي وفرت ظرفا ملائما مجسدا في الولاء السياسي لسلطة الانتداب الفرنسي وتقديم الكوادر المختلفة التي يحتاجها لتوطيد نفوذه وتسيير ادارة البلاد .

ومما فاقم ، اساسا ، فيما بعد واقع الانقسام والتفتت في المجتمع واستمرار التكتلات والفئات الاجتماعية المتنافسة او المتحالفة على اساس طائفي ضمن اشكال واطر مختلفة ، **هو طبيعة تشكل البرجوازية اللبنانية ، من خلال علاقات التبعية بالامبريالية الفرنسية والامبريالية العالمية ، كبرجوازية كومبرادورية** تقوم بدور الوكيل او الوسيط بين السوق الامبريالية العالمية والسوق اللبنانية والعربية وحيث **يهيمن** قطاع الخدمات على سائر القطاعات المنتجة الاخرى (الزراعة والصناعة) **ويعين**